رؤى

انعكاس الأيديولوجية الصهيونية في النظام التعليمي الإسرائيلي

أمين دراوشة

مقدمة

«الحركة الوطنية التحررية الفلسطينية في كل الكتب ينظر إليها من نقطة تطرف وإرهاب، وإظهارها بأنها تقتل وتذبح اليهود كما جرى في الخليل العام 1929، على حد وصف هذه الكتب، ويتوجه أحدها إلى أعضاء الحركة الوطنية بمصطلح «الشباب» أي أنهم نفر غير واع وغير مسؤول».
(من دراسة جوني منصور. قضايا إسرائيلية، ص: 99)

تناولت في دراستي المقتضبة هذه، قضية انعكاس الأيديولوجية الصهيونية على المناهج الدراسية الإسرائيلية، حيث سأقوم باستكمال الدراسة حول صورة الفلسطيني في كتب التاريخ الإسرائيلية والموضوعات الكبرى التي تحتويها المناهج في الأعداد القادمة من المجلة.

إن دراسة مضمون فلسفة التربية والتعليم في إسرائيل، مسألة صعبة ومعقدة. فالأهداف الحكومية للتربية والتعليم كلها صبت ولا تزال تصب في خدمة الأيديولوجية الصهيونية.

ومن خلال تحليل الأهداف التي تطمح الحكومة الإسرائيلية إلى تحقيقها، من خلال المناهج الدراسية، سنحاول الإجابة عن السؤال المركزي للدراسة: هل نجحت الحركة الصهيونية في تطويع التاريخ وتجنيده لخلق مجتمع إسرائيلي متجانس، يقوم على كراهية العرب وتحقيرهم، ويؤمن إيماناً راسخاً بأحقيته في الأرض الفلسطينية؟

إن قانون التعليم للعام 1957، قد صاغ الأهداف الحكومية المتوخاة من المناهج الدراسية، حيث تضمنت أهدافه، إرساء التربية على قيم الحضارة الإسرائيلية، والإخلاص للدولة وشعب إسرائيل، والوعي لذاكرة البطولة، وذاكرة المحرقة، وعلى الطلائع والرواد في العمل والزراعة.

واهتمت الأهداف بالأيديولوجيا والقومية، وتربية المواطنين اليهود على الاعتزاز بقوميتهم، والفخر بتراثهم. وعملت أيضاً على محو الهوية العربية في البلاد، وقامت بمحاولات لأسرلة العرب الفلسطينيين.

لقد استعملت الصهيونية كل الأدوات العلمية من أجل تطويع الأحداث التاريخية لمصلحة الدولة السياسية.

وتظهر عملية تسييس تدريس التاريخ عبر موضوعات كبرى تضمنتها

المناهج، فاليهود شعب مميز ومتفوق على الآخرين، لذلك هو ملاحق منذ ألاف السنين. وتميزت كتب التاريخ باختيار أحداث وتجنب أخرى لخدمة أهداف سياسية.

إن علم التاريخ وجد ليعلم الإنسان تاريخه، ويطلع على تاريخ الآخرين وتجاربهم، ولكن الذي حدث أن كتب التاريخ التي تدرّس في المدارس الإسرائيلية، تصبو لدراسة التاريخ اليهودي والعربي والفارسي والروماني والعالمي، من أجل خدمة المصالح السياسية الإسرائيلية والصهيونية، فكتب التاريخ سعت بقوة إلى إظهار الخصوصية والتفوق لليهود في العالم، حيث «يترافق هذا الإبراز والعرض مع تكوين النخب المتفوقة ذاتياً في العالم، وهذا التفوق يمنحها مكانة متميزة تدفعها نحو احتكارية الأحداث، وأن هذه الأحداث تدور في فلك اليهود وإسرائيل». [1] وسنأتي على ذلك في الدراسة المقبلة.

وفي النهاية، فإن دراسة كتب التاريخ المدرسية الإسرائيلية وتحليلها، يحتاجان إلى الكثير من الأبحاث والدراسات حتى يفيها حقها.

الجهود المبذولة لتعليم اليهود قبل الحركة الصهيونية

"إن الشعب اليهودي روح بلا جسد، بسبب عدم وجود بلاد له. والعالم يرى فيه ميتاً بين أحياء، وبما أن الخوف من الأرواح الشريرة متأصل في طبيعة الإنسان فقد أصاب "اليودوبيا" مرض الخوف من اليهود،
وهو مرض نفسي ينتقل بالوراثة، لذلك فكل ما ينقص الشعب الإسرائيلي
هو أرض أو بلاد يمتلكها وتكون خاصة به دون غيره".
(المفكر اليهودي ليو بنسكر (1821-1891)
من رسالته "التحرر الذاتي")

اهتمت الحركات اليهودية اهتماماً بالغاً بتعليم اليهود، حتى قبل إنشاء الحركة الصهيونية، حيث كان للتعليم دورة الكبير في المشروع الصهيوني.

لذا، سنتحدث عن أهم الجهود التعليمية التي بلورت الرؤية الذاتية لليهود، وكيفية استثمار التعليم في توحيد اليهود المنتشرين في أنحاء العالم، ومدى إسهامه "في صياغة وتحديث الفهم اليهودي القائم على الأسطورة، وتحويله إلى مصالح ورؤى قابلة للتحقيق". [2]

ويقول الباحث عبد اللطيف محمود محمد إن "جماعة شعب إسرائيل أصدقاء" التي تأسست في باريس العام 1860، لعبت دوراً مهماً في تحديث التعليم اليهودي، حيث عملت على تقديم يد العون لليهود في كل مكان من أجل إنقاذهم من المضايقات التي يتعرضون لها، كما كان من ضمن أهدافها العمل على ارتقاء اليهود الروحي والفكري.

وكان لجهود الجماعة الجبار في نشر المدارس اليهودية، وجمع التبرعات لمساعدة اليهود في الشرق، والاستغلال الأمثل للدعاية الإعلامية أن ولّد شعوراً بوحدة المصير والهدف بين اليهود.

ويقول زفولون بيا هليفي في رسالة له من إيران إلى منتيفيوري في لندن إنه بعد "أن كانت نظم التعليم اليهودية بالشرق إبان القرن التاسع عشر تعيش في حالة لا مثيل لها من الركود والتدهور، فإن ما بذلته الجماعة من نشر مدارس حديثة لها في وسط التجمعات اليهودية في كل من إيران واليمن والعراق وغيرها، على الرغم من معارضة بعض الحاخامات لنظامها التعليمي الحديث، قد أدى إلى خلق نموذج جديد للشخصية اليهودية". [3] والمعارضة الحاخامية كانت بسبب كون المناهج أوروبية فرنسية، الأمر الذي أدى إلى خلاف مع الجماعات الدينية اليهودية التي أنشأت هي الأخرى مدارسها الخاصة.

الخطو باتجاه التعليم الحديث

"اليهودية هي أساس النظرة المعاصرة للحياة العالمية كلها، . . . وأن التعاليم الأخلاقية المسيحية، وفلسفات العصور الوسطى، والحركة الإنسانية الحديثة، والفلسفات المرتبطة بها، نابعة من اليهودية".
(المفكر اليهودي موسى هس، من كتاب العرب في مناهج التعليم الإسرائيلية، ص: 26)

ظهرت الحركة الصهيونية في العام 1897 كحركة سياسية قومية، تدعو إلى إقامة دولة يهودية في أرض فلسطين، وعودة اليهود إليها، مرتكزة على مقولات دينية وتاريخية. وكان قد ظهرت حركات صهيونية دينية وثقافية قبل ذلك تدعو إلى العودة إلى أرض الأجداد من خلال البعث الروحي.

ووعت الحركة الصهيونية الدور المهم للتعليم في مشروعها السياسي القائم على استيطان فلسطين، فاستغلته في توحيد اليهود لإنجاح مشروعها الاستيطاني، لذلك عملت على تحجيم مدارس جماعة "كل شعب إسرائيل أصدقاء"، وأخذت تنشئ مؤسساتها أواسط آسيا حتى أوقفتها الحكومة السوفييتية في العامين 1922 و1923. [4]

ولكن في مناهج التعليم في المدارس اليهودية الحديثة في العراق وأفغانستان وغيرها في العشرينيات من القرن العشرين، أصبحت اللغة العبرية والأدب العبري مادة أساسية. وهذا يبين مدى الدور الذي لعبه التعليم في المشروع الصهيوني منذ القرن التاسع عشر، حيث عمل على تحديث الفكر اليهودي بعد أن كان قائماً على التقاليد اليهودية، وقضى التعليم الحديث على الفكر الغيبي.

لقد سخرت الحركة الصهيونية الفكر اليهودي، ليخدم مخططاتها في الاستيلاء على أرض فلسطين، وعملت على مواءمته مع الفكر الاستعماري الأوروبي، حيث وجد الاستعمار الأوروبي ممثلاً في بريطانيا أساساً في اليهود قوة يمكن أن تساعد في السيطرة على الشرق العربي.

الصهيونية تجسّد الأسطورة:

"من الواضح أن أهداف السياسية التربوية الإسرائيلية تجاهلت وجود العرب في هذه البلاد، ووضعت لتخدم مصلحة الدولة فقط ولخدمة الهوية الجمعية لليهود، وليس هناك أي ذكر للهوية القومية للعرب، أو حتى لوجودهم. كما أنه ليس هناك أية محاولة لتعريف اليهود على العرب، وإنما الاتجاه معاكس. ولقد فرضت هذه الأهداف على جميع مدارس البلاد العبرية والعربية".
(من دراسة د. هالة إسبانيولي. قضايا إسرائيلية، ص: 89)

استطاعت الحركة الصهيونية، أن تجعل من نفسها الفكرة الصلبة التي تلتف حولها كل القوى والحركات اليهودية، لأنها اختارت أرض فلسطين لتكون وطناً قومياً لليهود، وعملت على جمع اليهود من مختلف مناطق العالم في فلسطين عبر التنظيم والتخطيط الدقيق، وكذلك استطاعت خلق الكثير من الأساطير وتحويلها إلى واقع، كعقدة الاضطهاد، واستمرار كراهية اليهود، والضحية الطريدة، والفرادة اليهودية ممثلة بمقولة "شعب الله المختار"، . . . وغيرها.

إن التربية تستمد أهدافها وأصولها من الفلسفة التي يؤمن بها المجتمع، وتعكس احتياجاته. والتربية في إسرائيل إحدى الوسائل الرئيسية في تذويب اليهود في بوتقة واحدة، وحدد قانون التعليم الرسمي العام 1953 هدف التعليم: "إن هدف التعليم الحكومي هو إرساء الأسس التربوية على قيم الثقافة اليهودية ومنجزات العلم وعلى محبة الوطن والولاء للدولة والشعب اليهودي، وعلى ممارسة الأعمال الزراعية والحرفية، وعلى التهيئة لوجود رائد، والعمل على تشييد مجتمع تسوده مبادئ الحرية والمساواة والتسامح والتعاون ومحبة الجنس البشري".[5]

ونلاحظ أن الأهداف الرسمية للتعليم في إسرائيل ركزت على ترسيخ القيم الثقافية اليهودية، وبناء دولة متطورة وقوية عبر التوجه العلمي لإعداد مواطنين يؤمنون بالعلم والتكنولوجيا، وكذلك المحافظة على التراث اليهودي ونشره، فالهدف تربية المواطن الإسرائيلي على حب وطنه، والاعتزاز والفخر بقوميته، ولغته، ولكن للمواطنين اليهود فحسب، فهذه الأهداف صيغت لمحو هوية العربي وانتمائه والعمل على أسرلته.

ومن الظاهر تجاهل الأهداف لواقع الوجود العربي في فلسطين، فهي وضعت لتخدم مصالح الدولة اليهودية وتعزيز الهوية الجمعية لليهود.

أما الأهداف الخاصة لتعليم التاريخ، فحددت بما يلي: "تعليم التاريخ

من فعاليات اللقاء العشرين لمنتدى معلمي الدراما.

يجب أن يزرع في الطالب حب دولة إسرائيل، والرغبة في العمل من أجلها والحفاظ على كيانها". [6]

وجاء في البرنامج المكمل للمدارس الثانوية أن "الهدف من تعليم التاريخ هو تجذير الاعتراف القومي في قلب الطالب، وتعزيز الشعور لديه بالمصير اليهودي المشترك، وأن تغرس في قلبه محبة الشعب اليهودي". [7]

ومن برنامج التاريخ للعام 1977، كتب ما يلي: لا بد "أن يعطى الطالب ضوءاً تاريخياً وعقائدياً عن الصراع اليهودي-العربي، وتعميق شعور الطالب بعدل صراع الشعب اليهودي على تجديد وجوده القومي في البلاد، علينا أن نعرض الخلفية لهذا الصراع بين الشعب اليهودي العائد لوطنه التاريخي، وبين عرب البلاد والدول العربية". [8]

إن أهداف التعليم في إسرائيل تسعى بقوة إلى زرع القيم الأيديولوجية الصهيونية في نفوس الطلبة اليهود والعرب أيضاً، والعمل على "ترسيخ جذور الشباب في ماضي الشعب اليهودي وتراثهم التاريخي لخلق أجيال إسرائيلية تؤمن بالمعتقدات الصهيونية التي اعتنقها جيل المؤسسين الرواد الصهاينة". [9] وكذلك الهيمنة على العرب وجعلهم في حالة اغتراب في وطنهم، فالكتب المدرسية المتعلقة بالتاريخ هي انعكاس لهذه الأهداف التي ارتكزت في كتابتها على الهستوريوغرافيا الصهيونية.

إن مناهج التعليم تعتبر من أهم المركبات التي تحدد التاريخ الاجتماعي للشعب، فبواسطتها تنقل الرسائل التي يرغب المجتمع في المحافظة عليها، وينقلها من جيل إلى آخر، وهي من وسائل التنشئة الاجتماعية الأساسية، وتتصل مباشرة مع شخصية الطالب، ما يجعلها تساهم في تشكيل وجهات نظره السياسية والاجتماعية وهويته القومية.

فالطلاب في المدارس يتقبلون ما يورد في كتب التاريخ كحقائق مسلم بها، وكما سبق وقلنا، فإن تشكيل هوية الطالب القومية "هي ركيزة للذاكرة الجماعية، ولكل الأسئلة المتعلقة بالهوية القومية". [10]

ولهذا، كانت وما زالت كتب التاريخ الإسرائيلية بعيدة تماماً عن الحقائق والواقع، وتم استغلالها لخلق الانتماء والولاء لإسرائيل وللشعب اليهودي، وتشكل الذاكرة الجماعية للشعب اليهودي، وتم ذلك عبر تزييف الكثير من الحقائق التاريخية، وطمس أجزاء واصطفاء أخرى من أجل خلق ذاكرة جماعية للشعب، حتى ولو كانت مزيفة. فتم استخدام الهولوكوست بشكل متعمد ومدروس كإحدى الوسائل لتوحيد الهوية اليهودية المتنوعة.

وتنقل الباحثة هالة أسبانيولي عن الباحث إيلي فودة قوله: "إن المهمة الأساسية التي كانت أمام الدولة هي تشكيل وتكوين الذاكرة الجماعية للأمة. وقد جنّد جهاز التربية والتعليم لهذه المهمة وألقيت عليه مهمة انتقاء المواد التي على الطالب أن يتعلمها، وتصفية كل ما يجب أن يمحى من الذاكرة، فقد تمّ تعليم التاريخ من خلال "العدسة القومية"، واستعملت الهستوريوغرافيا -عن وعي أو عن غير وعي- على أيدي السلطة لتبرهن مدى صدق وعدالة الصهيونية في نزاعها ضد الحركة القومية العربية". [11]

فعملية تزييف الحقائق، كانت وسيلة مركزية استخدمتها الصهيونية من أجل تشكيل الذاكرة الجماعية للشعب، وتبرير وجودهم وهجرتهم إلى فلسطين، ومنح الشرعية لاحتلالهم فلسطين، والعمل على تشكيل رواية واحدة للصراع اليهودي- العربي.

لذا، اخترعوا مسألة الحق التاريخي، والأرض الخاوية، والشعب الذي اصطفاه الله، من أجل الحث على العودة إلى أرض الميعاد.

ولا ريب أن أجهزة التربية اليهودية قبل إنشاء دولة إسرائيل وبعده، عملت على خلق هذه الحقائق المزيفة، وتلقينها للطلبة، فورد في "سلسلة كتب تاريخ شعب إسرائيل"، لمؤلفيه ب. أحياوم وهرباز، والمعد لطلبة الصف الثامن في الصفحة (109)، ما يظهر بنية الفكر الصهيوني، فيقول مخاطباً العالم:

> "لقد سلبت أرض إسرائيل بالقوة من الأمة الإسرائيلية بوساطة مطرقة العالم (روما) إبان العهد الروماني، فأجليت الأمة الإسرائيلية، وتفرقت تحت كل كوكب، والآن أنا ابن أحد هؤلاء المشردين، جئت باسم الأمة المضطهدة لأمثل أمامكم أنتم ورثة الرومان سياسياً وحضارياً، كي أطلب إليكم إعادة المسروقات التاريخية إلى أصحابها". [12]

وحتى يكون المكان متوافقاً مع روايتهم، حضرت أسطورة الأرض اليباب الجرداء، التي جاء اليهود إليها فحولوها إلى جنة بعد أن جففوا مستنقعاتها، وزرعوها وأقاموا الطرق، وبنوا البيوت الجميلة.

ففي كتب الجغرافيا، نجد أن الخضيرة "تأسست في بقعة موبوءة بالمستنقعات على يد جماعة من اليهود، وفي أول الأمر هلك الكثيرون منهم بالملاريا حتى أخذوا بتجفيف المستنقعات فغرسوا أشجار الاكاليبتوز (الكينا)، وحفروا القنوات لصرف المياه الزائدة، وهكذا حصلوا على أرض واسعة خصبة تكسوها اليوم بساتين الفاكهة والبيّارات وتعتبر مصدر رزق لكثير من السكان". [13]

أما عن إصلاح الأراضي، فورد أن الكرمل "كان في الماضي مكسواً بالغابات وأحراج الصنوبر والسنديان كما كانت تكثر فيه أشجار الزيتون واللوز، ولكنه تجرد من هذه الأشجار على مر الزمن، أما اليوم فقد أعيد تشجيره وغرست فيه البساتين والكروم الكثيرة". [14]

وورد عن حال الطرق ما يلي: "كانت طرق البلاد قبل مائة عام عندما بدأ الاستيطان اليهودي مهملة، وأكثرها مهدماً، وكان شبان البلاد ينقلون بضائعهم على ظهور الجمال، ويركبون البهائم في تنقلاتهم". [15]

كل ذلك من أجل غرس أنهم وحدهم لهم الحق التاريخي في أرض

فلسطين، وهذا يعطي الطلاب اليهود شعوراً قوياً بالارتباط بالوطن بعد مئات السنوات من حياة الغربة والمعازل.

وتنقل الباحثة أسبانيولي عن أمنون حيفر في كتابه "**مواضيع مركزية في تاريخ الشعب والدولة أبان العصور الأخيرة**" قوله: "إن كل الأقوال بخصوص الحقوق التاريخية، التي يدور عليها النقاش بيننا وبين العرب، ما هي إلا تزييف للحقيقة، وناجمة عن قلة الفهم وشح المعرفة والدراية بتاريخ الاستيطان اليهودي في أرض إسرائيل . . . الحقيقة هي أنه عندما أتينا هنا في العصر الراهن، لم نلقَ أي شعب، وبشكل أكبر لم نلق شعباً أقام مئات السنين". [16]

ويقول أيضا: "لم يقم العرب في أرض إسرائيل البتة، ولم ينشئوا البته حكماً محلياً، ولم يبنوا ثقافة أو لغة أو قومية مميزة". [17]

ومن هنا نلاحظ المحاولات من قبل جهاز التعليم الإسرائيلي في خلق ارتباط تاريخي بين المشروع الصهيوني والاستيطان فيها، ومحو الوجود العربي الفلسطيني نهائياً، حيث أن أسطورة الأرض الفارغة والقاحلة وردت في الكثير من كتب المناهج الدراسية.

فالهدف هنا هو تعزيز مقولة الحق اليهودي التاريخي في أرض إسرائيل! وإنكار الحق العربي الفلسطيني. ففي كتاب "**تاريخ الشعب اليهودي**" يقول مؤلفاه "أحياه وهاربز": "عرف اليهود أنهم سيهاجرون إلى أرض فارغة وقاحلة، وأن السلطات تضايق اليهود وتقيّد خطواتهم، وأنهم محاطون بشعب وحشي يعيش على النشل واللصوصية". [18]

ففي كتب المناهج دائماً ما يظهر العربي كراع، ولص، وقاطع طريق، ومتخلف وغير حضاري، بينما يذكر اليهودي كبطل وقوي، يعمل بجد، ويبني البيوت الجميلة، ويقيم الطرق، ويهذب الطبيعية، وأنه السبب الرئيسي في حصول التقدم والتطور الحاصل في البلاد التي كانت خراباً تسكنها الوحوش ويملأها الشوك.

فقد ورد في كتاب "**إسرائيل الحديثة**": "إن القوة اليهودية ساهمت في الحفاظ على أمن اليهود وسلامتهم أمام الهجمات التي كانت تشن على المستوطنات والمستوطنين من قبل اللصوص العرب". [19]

ولم يظهر في كتب المناهج الدراسية الإسرائيلية شيء عن سرقة الأرض من أصحابها الأصليين واستيطانها من قبل اليهود.

وعلى الرغم من ظهور ما يسمى بالمؤرخين الجدد، أو مؤرخي ما بعد الصهيونية، الذين فندوا الكثير من الأساطير الصهيونية حول الصراع العربي –الإسرائيلي في كتبهم التاريخية، فإن الحكومة الإسرائيلية

من إحدى فعاليات المدرسة الصيفية – جرش ٢٠١٢.

رفضت بشكل قاطع تدريسها، لأنها تقف معارضة للهستوريوغرافيا الصهيونية المتبعة في كتب التاريخ. وما زال الصراع الإسرائيلي-العربي الفلسطيني يدرس من خلال كتب تاريخ الشعب الإسرائيلي والصهيونية.

وحتى بعد اتفاقية أوسلو، لم يتغير شيء من المناهج الدراسية الإسرائيلية، ففي بحث أجراه البروفيسور "داني بار-طال" حول كتب التعليم التي ألفت في سنوات 1995-1996، وجد أن التغيرات التي حدثت على الكتب الدراسية تجميلية وحسب، فبعد قيامه بتحليل 124 كتاباً في اللغة، والأدب العبري، والتاريخ، والجغرافيا، والمدنيات، من ضمن المقررات الدراسية بعد العام 1994، وجد أن: "هذه الكتب تشدد على بطولة الشعب اليهودي، وتبرزه بشكل قومي، فهو صاحب قضية عادلة يحارب من أجلها ضد عدو عربي يرفض الاعتراف بوجود الشعب اليهودي في إسرائيل". [20]

وإنه عند التطرق إلى أوصاف اليهودي تكون كلها إيجابية، فهو العامل صاحب الأخلاق، الساعي إلى التطور والتقدم، بينما عندما يذكر العربي، فإنه يكون حسب الأفكار النمطية السلبية، أي: لص، كسول، غير مثقف، عابر سبيل، متوحش، وذلك في محاولة لطمس وجوده الحضاري والثقافي، وهدم إنسانيته.

وفي النتيجة فقد توصلت الأبحاث والدراسات التي حللت محتوى كتب التاريخ الإسرائيلية، أنها استخدمت من أجل خدمة الأهداف الصهيونية وأيديولوجيتها، حيث تضمنت المناهج التعظيم لأساطير لا تصمد أمام الحقائق العلمية، وأنها اجتزأت التاريخ، وأخذت ما يوافق هواها، وأخفت الكثير من الحقائق التاريخية وتجاهلتها. كما أنها عملت على نفي وجود الآخر العربي الفلسطيني، وإن وجد فبصورة هامشية لا تأثير لها، ويوصف بكل الصفات البشعة والقبيحة، من أجل نزع الصفات الإنسانية عنه، وتبريراً لاستخدام العنف ضده وقتله.

وتضمنت الكتب الدراسية تمجيداً لأبطال الحركة الصهيونية، وتخليداً لذكراهم، كما تحدثت عن امتياز الشعب اليهودي وفرادته مقابل دونية الآخر العربي الفلسطيني.

والملاحظ أن الأيديولوجية الصهيونية لم تنعكس فقط في كتب المناهج الدراسية، بل أيضاً في الأدب (الرواية، والقصة، والشعر)، والفن (السينما والأغاني)، وكذلك في الصحافة . . . .

لقد حاول مؤسسو دولة إسرائيل من خلال التربية حشو الذاكرة الجماعية للشعب اليهودي بمعلومات تساعد على خلق ذاكرة جماعية، وطمسوا كل ما لا يجب معرفته، وهذا يعني أن الكتب الدراسية لم تعطِ النشء الحقائق، إنما معلومات مخترعة لتثبيت الرواية الصهيونية عبر الأساطير.

ويقول إيلي فودة إنه: "في كتب التاريخ، الجغرافيا، والموطن، والأدب، والمدنيات، والتناخ، استعملت الرموز الأسطورية الموجودة في الذاكرة الجماعية، وبهذا يساعدون على تشكيل صورة الماضي وتذويتها بناء على الحاجات المجتمعية". [21]

إن الدولة الإسرائيلية عملت على نقل القيم القومية المختارة بعناية إلى الأجيال عبر كتب المناهج الدراسية، فدرس الطلاب تاريخ الاستيطان اليهودي في فلسطين، وكيفية نشوء الدولة والهولوكوست. وبذلك كان لجهاز التربية والتعليم دور هائل في بناء ذاكرة جماعية، وهوية قومية، حتى لو كان ذلك من خلال خلق أساطير تاريخية زائفة.

خاتمة

"الواضح والثابت أن أوضاع وأحوال اليهود في البلاد العربية والإسلامية
كانت أفضل بكثير من أوروبا التي كانت فيها أشكال مختلفة من التطور والتقدم
والازدهار. وأكثر من ذلك، فإن يهود هذه البلاد (العربية والإسلامية) تمتعوا بمكانة مرموقة
وأفسح لهم المجال لتبوّء مراكز مهمة، إذ أنه ما كان بإمكانهم الوصول إلى ذلك لو تمت ملاحقتهم، والحقيقة أن أيًّا من المؤرخين اليهود لن ينجح في إقحام أفكار لا سامية أو عنصرية على نصوص الحقائق التاريخية المتعلقة بيهود البلاد العربية".
(من دراسة جوني منصور، قضايا إسرائيلية، ص: 99)

لقد اهتمت الحركات اليهودية، بشكل كبير في تعليم اليهود في مختلف أماكن تواجدهم، حيث كان اليهود يعيشون في ظل التعليم اليهودي التقليدي، ويؤمنون بالغيبيات، فعملت الحركات اليهودية على الاهتمام بالتعليم الحديث.

وعندما ولدت الحركة الصهيونية، اهتمت هي الأخرى اهتماماً عظيماً بالتعليم، نظراً لأهميته. واستطاعت تطويع المناهج الدراسية قبل قيام دولة إسرائيل في العام 1948 وبعده، لتخدم أهدافها، فعملت على حشو الكتب الدراسية بأساطير خاصة بالشعب اليهودي، وتعظيم الشخصية اليهودية، والاحتفاء برموز الحركة الصهيونية وتخليد بطولاتهم، كما عملت عبر سياساتها التعليمية على طمس وجود الشعب الفلسطيني على أرضه، وزرعت في ذاكرة الشعب اليهودي مقولة إنهم الشعب المميز الذي اصطفاه الله ليكون الأفضل من بين الشعوب.

ومن خلال المناهج الدراسية تم تزييف التاريخ وتزويره عبر مقولات من قبيل، الأرض الفارغة والبياب، والسكان المتوحشين العنيفين، وتواصل وجود اليهود على أرض فلسطين عبر ألفي عام.

وللأسف! استطاعت الحركة الصهيونية تحقيق أهدافها والنجاح في تجميع اليهود من كل مكان في أرض فلسطين، وإقناعهم عبر الاستفادة من بعض حوادث التاريخ، وإخفاء أجزاء تاريخية مهمة،

من أن هذه الأرض لهم وحدهم، وأن العرب الفلسطينيين مجرد عابري سبيل لم يكن لهم يوماً وجود حقيقي على أرضهم، وأنهم غزاه، ويجب طردهم ومحاربتهم، لأنهم أعداء للشعب اليهودي، ويريدون القضاء عليه.

وحتى بعد عقد اتفاقيات سلام بين الفلسطينيين والعرب وإسرائيل في تسعينيات القرن الماضي، لم يتغير شيء على المناهج الدراسية الإسرائيلية، وبقيت موضوعاتها نفسها.

وهذا ما سنناقشه بالتفصيل في الدراسة المقبلة التي ستتحدث عن الفلسطيني واليهودي في كتب التاريخ الإسرائيلية المدرسية.

كاتب يقيم في رام الله

الهوامش:

[1] منصور، جوني. (2001). «كتب تدريس التاريخ في المدارس العبرية الإسرائيلية، تخصصية-احتكارية وفوقية". **مجلة قضايا إسرائيلية**، رام الله: المركز الفلسطيني للدراسات الإسرائيلية – مدار، العدد الرابع، ص: 97-118.

[2] عبد اللطيف محمود محمد. (2001). "موقع التعليم لدى طرفي الصراع العربي- الإسرائيلي". **دراسات إستراتيجية**، العدد52، أبو ظبي: مركز الإمارات للدراسات والبحوث الإستراتيجية ط1، ص: 13.

[3] المرجع السابق، ص: 13.

[4] المرجع السابق، ص: 14.

[5] غازي ربابعة. (1986). **اتجاهات التعليم في الكيان الصهيوني**. عمان: منشورات دار الكرمل، ط1، ص: 18.

[6] هالة إسبانيولي. (2001). "الأيديولوجيا الصهيونية وانعكاسها في كتب التدريس العبرية". **مجلة قضايا إسرائيلية**، العدد الثالث، رام الله: المركز الفلسطيني للدراسات الإسرائيلية – مدار، ص: 88-93.

[7] المرجع السابق نفسه.

[8] المرجع السابق نفسه.

[9] عبد اللطيف محمود محمد. مرجع سابق، ص: 23-24.

[10] هالة أسبانيولي، مرجع سابق.

[11] المرجع السابق نفسه.

[12] سمير سمعان، وآخرون. (2004). **العرب في مناهج التعليم الإسرائيلية**. عمان: مركز دراسات الشرق الأوسط، ط1، ص: 97.

[13] صالح سرية. (1973). **تعليم العرب في إسرائيل**. بيروت: منشورات منظمة التحرير – مركز الأبحاث الفلسطيني، ص: 195.

[14] المرجع السابق، ص: 197.

[15] المرجع السابق، ص: 195.

[16] هالة أسبانيولي. مرجع سابق.

[17] المرجع السابق.

[18] المرجع السابق.

[19] غازي ربابعة. مرجع سابق، ص: 54.

[20] هالة أسبانيولي. مرجع سابق.

[21] هالة أسبانيولي. مرجع سابق.

المراجع

- أسبانيولي، هالة. (2001). "الأيديولوجيا الصهيونية وانعكاسها في كتب التدريس العبرية». **مجلة قضايا إسرائيلية**، العدد الثالث، رام الله: المركز الفلسطيني للدراسات الإسرائيلية – مدار.
- جوني منصور. (2001). «كتب تدريس التاريخ في المدارس العبرية الإسرائيلية، تخصصية-احتكارية وفوقية». **مجلة قضايا إسرائيلية**، العدد الرابع، رام الله: المركز الفلسطيني للدراسات الإسرائيلية – مدار.
- ربابعة، غازي. (1986). **اتجاهات التعليم في الكيان الصهيوني**. عمان: منشورات دار الكرمل، ط1.
- سرية، صالح. (1973). **تعليم العرب في إسرائيل**. بيروت: منشورات منظمة التحرير – مركز الأبحاث الفلسطيني.
- سمعان، سمير وآخرون. (2004). **العرب في مناهج التعليم الإسرائيلية**. عمان: مركز دراسات الشرق الأوسط، ط1.
- محمود محمد، عبد اللطيف. (2001). "موقع التعليم لدى طرفي الصراع العربي- الإسرائيلي». **دراسات إستراتيجية**، العدد 52، أبو ظبي: مركز الإمارات للدراسات والبحوث الإستراتيجية، ط1.